

حتى لا تعجب أن يتغنى بملء شذقيه من يرتفع نسبه إلى اليأس وخندف مفتخراً، ألا وهو العجاج التميمي الأموي في أرجوزته:

يا دار سلمى يا اسلمى ثم اسلمى فخندف هامه هذا العالم (1)

بل تجاوز التعريف به العصر الأموي فامتد إلى العصر العباسي الثاني. فهذا أبو الطيب المتنبي وضعه مع اليمانيين لأنه جعفى يمانى، يقول في مطلع افتخارية له على لسان بعض بني تنوخ من اليمانيين في مناهضة الخندفيين:

قضاة تعلم أني الفتى الذي ادخرت لصروف الزمان

ومجدي يدل بني خندف على أن كل كريم يمان

ولئن كان هدفنا الذي نضرب إليه النظر معرفة أسباب تغلب علم الأم على الأب في الذرية، ليقضين الترتيب الزمني أن نوطيء له بما كان ذريعة ووسيلة إليه، فنشأ عنه وتفرع عليه، بادئين تلمسه من حين الاتصال بين الزوجين: اليأس وخندف، ثم التوالد بينهما في أبنائهما اللادين، ومستعرضين الطرف الذي عرض فيه إضافة البنين إلى أمهم والاجتزاء باسمها معهم دون حاجه في تمييزهم إلى اسم أبيهم، ثم شيعان هذه الإضافة على مرور الملوين، مع أنه قلما يستأثر علم الأم بمن ينتج من شعب أو قبيلة أو بطن فمن دونها إلا للملابسات خاصة تهبط على الناس في مجتمعهم فتلفتهم إلى تداول اسمها وتقديمه على اسم أبيهم الذي يحق انتسابهم إليه _ على أن تفسير تلك الملابس اتفاقي دون تفكير يسبقه، خاضع لحادث يحول الأفكار إليه، فهو كما يقال: ابن الظروف.

وفي ثنايا التاريخ ملوك جابرة، وأعراب متمردة، ورواة اللغة عباقرة، وأدباء معلمون، وشعراء مفلقون. عُرفوا بالانتساب إلى أمهاتهم:

(1) البيت الثاني من شواهدهم على همز الالف في (العالم) لموافقة باقي الأرجوزة في عدم التأسيس، والبيت الأول مطلعها، وبينهما أبيات كثيرة. راجع شرح شواهد شرحي الشافية للبغدادى، الشاهد السادس يعد المائتين.